Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 9 | Page 441 – 461 |2025 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Omar Samih Ayash - Graduate Student, Palestine, An-Najah National University, Department of Arabic Language.

Saeed Shawahneh [1,*], Omar Samih Ayash[1]

[1]Department of Arabic Language - An-Najah National University, Palestine.

***Corresponding author:** *saeedsh@najah.edu & omar2018ayyash@gmail.com*

Keywords

1. Contextual theory
2. evidence of miracles
3. Abdul Qaher Al-Jurjani
4. linguistic context
5. emotional context

Abstract:

This research seeks to study the features of the contextual theory of Abdul Qaher Al-Jurjani through his book, "Dala'il Al-I'jaz." The importance of the research lies in its exploration of the features of modern contextual theory in the work of an important ancient Arab critic.

The problem of the research lies in the richness of ancient Arabic critical, linguistic, and rhetorical studies, while semanticists bridge the gap between modern Western linguistic achievement and the earliest linguistic origins of the ancient Arabic heritage. The book addresses contextualism as a subject analyzed and viewed from the perspective of grammar and rhetoric. Thus, Al-Jurjani's perspective intersects with that of the proponents of the contextual school, and the arguments are similar, while the discussion differs.

The research methodology follows a descriptive-analytical approach, combining existing knowledge represented by modern contextual theory with Al-Jurjani's own personal insights, which he disseminated in his book, "Dala'il Al-I'jaz," about context and its impact on meaning.

The structure of the research is as follows: an introduction, four sections, and a conclusion. The study was limited to "Dala'il al-I'jaz" only, as it contains a profound linguistic theorization of the theory of syntax, in addition to grammar and syntax. Among the findings of the study are the presence of roots of contextual theory in the book "Dala'il al-I'jaz" and similarities in the semantic perspectives of K. Ammer, who divides context into four sections, each focused on guiding meaning semantically, and Al-Jurjani, who guiding meaning through context within the framework of the theory of syntax and its representations in grammatical structure.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 9 | Page 442 – 461 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

ملامح النظرية السياقية عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز

سعيد شواهنة [1،*]، عمر سميح عيّاش[1]
[1]قسم اللغة العربية - جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين.
*المؤلف: saeedsh@najah.edu & omar2018ayyash@gmail.com

الكلمات المفتاحية

1. النظرية السياقية
2. دلائل الإعجاز
3. عبد القاهر الجرجاني
4. السياق اللغوي
5. السياق الانفعالي

الملخص:

يسعى البحث إلى دراسة ملامح النظرية السياقية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه دلائل الإعجاز. وتكمن أهمية البحث في استقصاء ملامح النظرية السياقية الحديثة عند ناقد عربي قديم ومهم.

وتكمن مشكلة البحث في ثراء الدرس النقدي واللغوي والبلاغي العربي القديم، وفي تجسير الهوة بين المنجز اللغوي الغربي الحديث والأصول اللغوية الأولى في التراث العربي القديم؛ فالكتاب يتطرق إلى السياقية من حيث كونها موضوعًا يُحلّل وينظر إليه من زاوية النحو والبلاغة؛ لذا يتقاطع نظر الجرجاني مع نظر أصحاب المدرسة السياقية، ويتشابه القول في حين يختلف المبحث.

أما منهجية البحث فيتّبع المنهج الوصفي التحليلي؛ إذْ يزاوج بين المعرفة القائمة المتمثلة بالنظرية السياقية الحديثة، والرؤى الذاتية للجُرجاني التي بثها في كتاب دلائل الإعجاز عن السياق وأثره في المعنى.

أما هيكلية البحث، فجاءت في: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة. وقد حُصِرَ البحث في "دلائل الإعجاز" فقط؛ لأن فيه تنظيرا لغويًّا عميقًا في نظرية النظم، إضافة إلى النحو والتركيب.

ومن النتائج التي توصّل إليها البحث: وجود جذور للنظرية السياقية في كتاب دلائل الإعجاز، وتشابهٍ في الأنظار الدلالية بين (K. Ammer) من خلال تقسيمه للسياق إلى أربعة أقسام، تختصّ بتوجيه المعنى دلاليًّا والجرجاني الذي يخرج إلى توجيه المعنى من خلال السياق في إطار نظرية النظم وتمثلاتها في التركيب النحوي.

المقدمة:

يسعى هذا البحث، الموسوم بـ: ملامح **النظرية السياقية عند عبد القاهر الجرجاني، في كتابه دلائل الإعجاز**، إلى إضاءة ظاهرة مهمة من أنظار الدراسات اللغوية المعاصرة، وهي النظرية السياقية، أو المنهج السياقي، حيث يسعى البحث إلى دراسة ملامح السياقية عند عبد القاهر الجرجاني. وإذا كانت السياقية منهجا يدرس في سياق علم الدلالة، فإن الجرجاني يدرسها في سياق النحو والبلاغة، وعلى اختلاف الأنظار، فإنه بمقدورنا أن نتلمس الفواصل المشتركة بين السياقين، فاللغة تجمع بينهما.

إن كتاب دلائل الإعجاز، في أعمه وأغلبه، كتاب يجمع بين دفتيه موضوعات عدة، نهج فيها صاحبها نهجًا نحويًا وبلاغياً، وأسلوبيًا إن صح التعبير، وهو بذلك لا يتطرق إلى السياقية، من حيث كونها حقلا دلاليًا لغويا صرفاً، إنما من حيث كونها موضوعًا يُحلّل وينظر إليه من زاوية النحو والبلاغة، لذا، يتقاطع نظر الجرجاني مع نظر أصحاب المدرسة السياقية، ويتشابه القول في حين يختلف المبحث، بالرغم من اختلاف الزاوية التي ينظر كل واحد منها من خلالها إلى اللغة. ولذا قصرنا البحث على دلائل الأعجاز دون غيره من مصنفات الجرجاني.

لقد تناول التمهيد تلاقي النظرية السياقية دلاليًا ونظرية النظم عند الجرجاني نحويًا وأسلوبياً. أما المبحث الأول السياق اللغوي عند الجرجاني. وفي المبحث الثاني سياق الموقف. وفي المبحث الثالث السياق الثقافي. أما المبحث الرابع فتناول السياق العاطفي. وتضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في استقصاء ملامح النظرية السياقية عند ناقد عربي قديم ومهم، وهو عبد القاهر الجرجاني. ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة: هل ثمة وجودٌ لأقسام السياق الأربعة التي ذكرها (K. Ammer) في عمق فكر الجرجاني في دلائل الإعجاز؟ وهل ثمة فواصل مشتركة بين أقسام السياق حسب ما ذكره (K. Ammer) وبين ما أورده الجرجاني في دلائل الإعجاز في دراسته للتركيب والبلاغة، وما هي مظاهر هذا التشابه في الأنظار، وإلى أي حد كانت أقسام السياق تلعب دورًا في توجيه المعنى عند الجرجاني.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة ملامح السياقية عند عبد القاهر الجرجاني. وإذا كانت السياقية منهجًا يدرس في سياق علم الدلالة، فإن الجرجاني يدرسها في سياق النحو والبلاغة، وعلى اختلاف الأنظار، فإنه بمقدورنا أن نتلمس الفواصل المشتركة بين النظرين، فاللغة تجمع بينهما.

منهجية البحث وإجراءاته:

أما منهج البحث فهو قائم على الوصفية التحليلية؛ إذْ يزاوج بين المعرفة القائمة المتمثلة بالنظرية السياقية الحديثة، وبين الرؤى الذاتية للجرجاني التي بثها في كتابه (دلائل الإعجاز) عن السياق وأثره في المعنى. والبحث بذلك مكون من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. وقد حُصِرَ البحث- كما أسلفت- في كتاب دلائل الإعجاز فقط. دون غيره؛ لأنني لمست فيه تنظيرًا عميقًا

تمثل في نظرية النظم، إضافة إلى اختصاصه بالنحو والتركيب والبلاغة.

هيكلية البحث:

أما **هيكلية** البحث، فجاءت: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة. وقد حُصِرَ في "دلائل الإعجاز" فقط؛ لأن فيه تنظيرًا لغويًّا عميقًا في نظرية النظم، إضافة إلى النحو والتركيب.

الدراسات السابقة:

أما الدراسات السابقة، فقد تطرّق غير باحث إلى النظرية السياقية عند الجرجاني بالدرس والتمحيص والبحث، فكانت كل دراسة تطرق جانبًا معينًا منها. ولعل أهمها:

- **النظرية السياقية للاستعارة وتمثلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني** ليوسف أبو العدوس 1998م.
- **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى** لمحمد سالم صالح (2007).
- **تجليات النظرية السياقية من خلال نظرية النظم للجرجاني** لنعمان سلطاني 2011م.
- **ملامح النظرية السياقية في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني** لفيصل أبو الطفيل 2018م.
- **السياق في دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ عرضًا ودراسة** لعبد الله السكاكر 2020م.
- **جذور النظرية السياقية في تراثنا النحوي القديم** لصالح حوحو 2023م.

وكانت هذه الدراسات أهم ما كتب عن السياقية عند الجرجاني بشكل خاص، و إن هذه الدراسات تناولت النظرية السياقية عند الجرجاني بأشكال مختلفة ومن زوايا ونواحٍ متعددة، وقد تقاطع البحث معها في المجال الأساسي، وهو تتبع ملامح النظرية السياقية عند الجرجاني، بيد أنّه اختلف عنها بدراسته للسياقية عند الجرجاني في ضوء الأقسام التي اجترحها (K. Ammer).

وقد حاول البحث أنْ يسلك مسلكًا مغايرًا لما كتب عن السياقية، فاستثنى ما جاء في الدراسات السابقة التي ركزت على جذور السياقية عند الجرجاني، وتطبيق ما جاء فيها على ما كتبه، وبيان التشابه بين سياق الموقف وموافقة الكلام لمقتضى الحال، وجوانب أخرى غير التي ندرسها في البحث، أما الجديد الذي يضيفه البحث فتمثّل في **دراسة أقسام السياق الأربعة عند الجرجاني كما ذكرها** (K. Ammer) **وهي: اللغوي، والانفعالي، والثقافي، وسياق الموقف.** وبيان تجلياتها عنده درسًا وتحليلاً.

التمهيد

تلاقي النظرية السياقية دلاليًّا ونظرية النظم عند الجرجاني نحويًّا وأسلوبيًّا

تعتبر النظرية السياقية بأنها النظرية التي تدرس المعنى طبقا للمنهج السياقي، ويعد فيرث (Firth) زعيم هذا الاتجاه؛ إذْ أعطى أهمية كبرى للوظيفة الاجتماعية للغة، وأن معنى الكلمة لا يتكشف إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة، كما أن المعنى عند أصحاب هذه النظرية كائنٌ في استعمالها في اللغة[1]. وتعتبر نظرية

[1] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب. القاهرة، ص68

السياق، أو النظرية السياقية (Contextual Approach) منهجًا مهمًّا من مناهج دراسة المعنى، الذي ينتمي إلى علم الدلالة؛ فعلم الدلالة هو "العلم الذي يدرس المعنى"[2]، بوصفه المدلول.

وإذا كانت اللغة التي توصف بأنها "مرآة العقل"[3] هي الفضاء الأوسع للنص، أدبيًّا كان أو فكريًّا أو إبداعيًّا أو مجرد خطاب، فلا غرابة في أن نجد تواشجًا بين الظواهر اللغوية المختلفة؛ فالظاهرة التي نجدها في المعجمية والمصطلحية مثلاً، نجد لها حضورًا نظريًّا في علم الدلالة، وما نجده أيضًا في البلاغة من مظاهر لغوية كالاستعارة والمجاز، نجده تماماً في منهج الأسلوبية.

ولما كانت النظرية السياقية تختص بدراسة السياق، مؤكدةً على اجتماعية اللغة، أو الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها اللغة، كان "معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات لغوية مختلفة"[4].

وقد انطلقت النظرية من منطلق أن "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[5].

إن هذا المنطلق يدل على أهمية السياق أولًا في دراسة وتحديد المعنى، ثم في كون المعنى لا يتأتى من خلال اللفظة أو المفردة وحسب، وإنما إلى السياق الذي تشترك فيه تلك المفردة مع مفردات وكلمات أخرى، حيث "نعرف الكلمة من خلال الشَّراكة التي تنتمي إليها"[6]. وهذا ما نجده واضحًا عند الجرجاني الذي يؤكد على أهمية تسييق الوحدة اللغوية؛ فالرأيان متشابهان، وإن كان الجرجاني يتحدث من منظور لغوي نحوي صرف، إذْ يقول: "إن الألفاظ المفردة التي هو أوضاع اللغة، لم توضع لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض"[7]. مشيرًا بذلك إلى النظم الذي هو عنده "أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ "علمُ النحو"، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها"[8]، فهو "توخِّي معاني النحوِ في معاني الكلم"[9].

إن الجرجاني ينظر إلى اللفظة بوصفها وحدة ضمن وحدات أخرى منظومة داخل السياق، فالسياق، بناء على ذلك، مجموعة من الوحدات المنظومة التي تعدّ بمثابة الشيء الواحد المتماسك، والذي تتضافر فيه الدوال للتعبير عن المدلول، والسبيل إلى الوصول للمعنى هو إدراك معنى الكلمة من خلال علاقتها بالسياق في ضوء النظم، ويذكرنا هذا بما أطلق عليه

[2] إبراهيم، مجدي. **بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين**. (2014). ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية. ص13

[3] جاكندوف، راي. علم الدلالة والعرفانية. (2010). ترجمة: عبد الرزاق بنور. ط1. دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس. ص47

[4] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب.القاهرة ص68

[5] مختار، (1985)، ص69

[6] كريستال، ديفيد. **علم الدلالة**. (1996). ترجمة وتعليق: مازن الوعر. مجلة علامات. ج21، م6، الصفحات (259–292). ص275

[7] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471). دلائل الإعجاز. (1984) د.ط. تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. مكتبة الخانجي. القاهرة. ص539

[8] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص81

[9] المصدر السابق، ص361

الدلاليون بالعلاقات التلاؤمية، "وتعني التلاؤمية: علاقة العنصر اللغوي مع العناصر الأخرى في مجال اللغة الذي يقع فيه"[10]. يقول مثلًا في سياق تعليقه على الآية **(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)**[11]: "إنَّ الأرضَ قد كانت صارتْ عُيونًا كلُّها، وأنَّ الماءَ قد كان يَفُور مِنْ كلِّ مكانٍ منها. ولو أُجريَ اللفظُ على ظاهرِهِ فقيلَ: "وفجَّرْنا عيونَ الأرضِ، أو العيونَ في الأرض"، لم يُفِد ذلك ولم يَدُلَّ عليه، ولَكانَ المفهومُ منه أنَّ الماءَ قد كان فارَ من عيونٍ متفرقةٍ في الأرض، وَتَبجَّس مِن أماكنَ منها"[12]. إن حديث الجرجاني هنا وإن كان أسلوبيًّا من خلال تغيير مواضع الكلمة (عيون الأرض–العيون في الأرض–الأرض عيونًا)، أو كان نحويًّا (مفعولًا به– مضافًا إليه)، فهو حديث عن دلالة الكلمة من خلال السياق، ومعناها المتأتي من كونها منظومة ومسيّقة مع مجموعة من الكلمات، ووحدة إلى جانب وحدات أخرى، ويدل على ذلك قوله: أنه لو أجري اللفظ على ظاهره، أي: على ظاهر معناه لكان كذا وكذا، فهو هنا يتحدث عن سياقية الكلمة (عيونًا)، ويفسر المعنى بناءً على وجودها في السياق. وإلى جانب هذا المثال العشرات من الأمثلة التي ساقها، والتي سنتحدث عنها في مواضع أخرى في البحث.

وفي مواضع أخرى نتلمس السياقية عند الجرجاني في معنى الكلمة من منظور نحوي صِرف، وهنا نشير إلى أمر تختص فيه العربية، وتتمايز فيه عن الإنجليزية، وهو ظاهرة الإعراب، والذي يسميه الدلاليون "المعنى القواعدي"[13]، ويتوسع الجرجاني في الحديث عن اختلاف المعنى الذي تؤديه كلمة معينة في حال قمنا بتغيير إعرابها من خلال تغيير سياقها في الجملة، فمثلا حين نقول: أمطرت السماء مطرًا كثيفًا– وأمطرت السماء بكثافة– وأمطرت السماء مطرًا مكثفًا– وأمطرت السماءُ كثافةً– فإن معنى كلمة كثيفًا وبكثافة ومكثفًا وكثافةً على التوالي لم يتغير، من حيث الدلالة على معنى الكلمة المعجمي والدلالي، إذا أخذنا الكلمة مفردةً، لكن المعنى يتغير إذا نظرنا إلى الكلمة على أنها جزء من السياق، ويرجع هذا التغير في ذلك إلى تغير موضع الكلمة من الإعراب، وهذا ما نقصده بخصوصية العربية على الإنجليزية، ويمكن أن نوضح ذلك بمثال من اللغة الإنجليزية لكلمة مطر (rain):

The rain came down heavily نزل المطر بكثافة

Heavy rain fell بكثافة سقط المطرٌ

The cloud dropped rain السحابة أنزلتْ المطر

فقد تغير موضعها في السياق دون أن يغير ذلك من معناها، وهذا مثال بسيط للتدليل على خصوصية ظاهرة الإعراب في تحوير المعنى، والذي لا تختص به اللغات الأخرى.

ومن الأمثلة أيضا على ذلك حديث الجرجاني عن معنى كلمة "خال"، وتغير معناها لتغير السياق في قول "ابن المعتزّ:

يا مِسْكةَ العطَّارِ

وخالَ وَجْهِ النهارِ

[10] بالمر، ف. ر. **علم الدلالة إطار جديد**. (1995). د ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. ص143

[11] القمر:12.

[12] الجرجاني، دلائل الإعجاز. (1984)، ص 102

[13] لاينز، جون. علم الدلالة. (1980). ترجمة: مجيد الماشطة، حليم فالح، كاظم باقر. د ط. مطبعة جامعة البصرة، البصرة.ص59

وكانت المَلاحَةُ في الإضافةِ بعد الإضافة، لا في استعارةِ لفظةِ "الخالِ "إذْ معلومٌ أنه لو قالَ: "يا خالا في وجهِ النهار" أو "يا مَنْ هو خالٌ في وجْه النهار"، لم يكن شيئًا"[14]. إن معنى كلمة (الخال) لم يتغير بتغير السياق، وإنما تغيّر معناه دلاليًّا، فالإضافة هنا خصصت الخال لوجه النهار، أي: جعلته منها جزءًا أساسيًّا وكأنهما بمثابة الشيء الواحد، على خلاف لو تغير موضعها لتكون مناديًا: يا خالًا في وجه السماء، فلا يفيد المعنى الذي أفاده سياق التخصيص بالإضافة.

ويتجاوز الجرجاني، أحيانًا حديثه عن اللفظة نفسها من خلال السياق، إلى الأسلوب السياقي كعطف الجمل بعضها على بعض، وترك العطف فيها، واستخدام الوصل والفصل، والذي نرى أنه يؤدي ذات المؤدى الذي يؤثر السياق فيه على اللفظة، في سياق كونها وحدة دلالية تتضامّ مع وحدات أخرى داخل سياق واحد، يقول الجرجاني: "اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى، من أسرارِ البلاغة، ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص، وإلّا قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدًّا للبلاغة، فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها، فقال: مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ"[15]، فذلك يؤدي إلى البلاغة، والصواب في التعبير، أو على حد قوله: إن استخدام هذه الأساليب جُعِلَ حدًّا للبلاغة.

في ضوء ما تقدم نلحظ تلاقي النظرية السياقية دلاليًّا ونظرية النظم عند الجرجاني نحويًّا وأسلوبيًّا.

إن أصحاب المنهج السياقي ركزوا على استعمال الكلمة في اللغة، وعلى دورها، والمعنى الذي تؤديه، مستبعدين بذلك أي سياق خارجي، وهم بذلك لا ينظرون إلى الكلمة من حيث كونها استجابة لمؤثر، أو مؤثرًا يدفع للاستجابة، أو تصوراً، أو سلوكاً، أو بنيةً معجميةً تؤدي دورها المعنوي، "فهناك مؤثرات خارج الجملة قد تؤثر في معناها قليلا أو كثيرًا كالحركات الجسمانية وانفعالات الوجه والنغمة"[16]، وغيرها، بل إنها عندهم جزء من السياق، ولبنة تقع ضمن مجموعة من اللبنات، بمعنى: أن أهمية الكلمة تتأتى من دورها المكتسب من خلال السياق؛ لذا، فإن "دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلًا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي"[17]. وهذا واضح من تركيزهم على أن اللغة ذات بُعد اجتماعي غير مرتبط بالتصور أو السلوك، وترتبط "بوظيفة اجتماعية"[18]؛ ولذلك فإن "معنى الكلمة يتعدل (أي: يتغير ويتحور) تبعًا لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعًا لتوزيعها اللغوي (Linguistic distribution)"[19]. وقد اقترح "(**K. Ammer) تقسيمًا للسياق ذا أربع شعب يشمل:**

[14] الجرجاني، دلائل الإعجاز. (1984)، ص103

[15] الجرجاني، دلائل الإعجاز. (1984)، ص222

[16] الخولي، محمد. علم الدلالة علم المعنى. (2001) د.ط. دار الفلاح للنشر والتوزيع. عمان. ص70

[17] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1، عالم الكتب، القاهرة ص 69

[18] بن خويا، إدريس. **علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث: دراسة في فكر ابن قيم الجوزية**. (2016). ط1. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن. ص109

[19] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب.القاهرة ، ص69

1- **السياق اللغوي** (linguistic context).
2- **السياق العاطفي** (emotional context).
3- **سياق الموقف** (situational context).
4- **السياق الثقافي** (cultural context)."[20]

إن "السياق اللغوي يشرف على تغيير دلالة الكلمة تبعًا لتغيير يمس التركيب اللغوي كالتقديم والتأخير في عناصر الجملة"[21]، والسياق **اللغوي** يحدد المدلول بناء على السياق الذي يرد فيه الدال/ الكلمة، فالكلمة الواحدة إن استخدمت في سياق رياضي، أو اجتماعي، أو فيزيائي، أو لغوي، كان لها مدلول مختلف حسب السياق الذي استخدمت فيه.

أما السياق **العاطفي** "فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، ممّا يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالاً، فكلمة Love الإنجليزية غير كلمة LIKE رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب، وكذلك كلمة "يكره" العربية غير كلمة "يبغض" رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك"[22]؛ فالسياق المتعلق بالعاطفة يحدد مدى تعبير الألفاظ عن حالة عاطفية قد تشترك مع غيرها في الدلالة على المشاعر والأحاسيس، لكنها تختلف عنها بحال مخصوصة، أو قد تكون اللفظة من باب الاختلاف مثل كلمة "يحب"، وكلمة "يكره"، فكلاهما يعبران عن عاطفة، لكنه تعبير متضاد. وبناء عليه فقد تكون الكلمة دالة على عاطفة، فيدلنا السياق العام عليها لتأخذ معنى مغايرًا لمعناها، مثل كلمة "تَعَلُّق"، فالمعنى المعجمي لها يختلف عن المعنى العاطفي، فهي تعني التشبث معجميًّا في حين أنها تعني الحب والشغف عاطفيًّا، والذي يحدد المعنى الدقيق لها هو السياق.

أما سياق **الموقف**، فقد عنوا به "الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، كاستعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس: يرحمك الله، وفي مقام الترحم بعد الموت: الله يرحمك. فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا والثانية طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل هذا على سياق الموقف"[23]. وهذا يعني أن سياق الموقف الذي ينتج اللغة هو سياق اجتماعي، أو سياق يعتمد على المقام/ الموقف اللغوي، فهو بذلك يعطي معنى محددًا، ويحصره للفظة المستخدمة في مواقف أخرى. وقد نتجاوز ذلك إلى القول باختلاف المعنى المتأتي باستخدام الكلمات نفسها في الجملة الواحدة، والتي لها معنى واحد محدد لكن بموقف مختلف، فالأمر لا يتعلق باللفظة بشكل مفرد، بل بالتركيب كاملاً، ومثال ذلك التركيب: ما شاء الله، فمرة يستخدم في موقف السرور والإعجاب إذا قيل لشخص قد أتى فعلا حسناً، لكنه يقال للتوبيخ أيضاً لشخص أتى فعلا قبيحاً.

أما السياق **الثقافي**، فهو عندهم "يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي (بوصفه ثقافيًّا) الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، مثل كلمة "عقيلة" تعدّ في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة "زوجة""[24].

ونلحظ أن ثمة اتجاهات أيدت النظرة السياقية إلى السياق الثقافي منها "الانثروبولوجيا والفلسفة وعلم

[20] مختار، (1985)، ص69

[21] عبد الجليل، منقور. علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي. 2001. د.ط منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ص90

[22] مختار، (1985)، ص70-71

[23] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب.القاهرة ص71

[24] مختار، (1985)، ص71

النفس"[25]؛ وذلك لأنها حقول ثقافية معرفية خاصّة مختلفة لها معجمها الخاص من الألفاظ التي لا تستخدم في حقل آخر بنفس المعنى، فمثلا كلمة جدل تستخدم في الحقل الفلسفي بمعنى الديالكتيك؛ فالفلسفة هي من أنتجت هذا المعنى، لكن في الحقل النفسي والاجتماعي والديني تُستخدم كلمة جدل للدلالة على الاختلاف في وجهات النظر.

إن فكرة تقسيم السياق الذي ترد فيه الكلمة إلى لغوي وانفعالي وموقف وثقافي أنتجه الفكر اللغوي الغربي الحديث، لكننا نجد له أصولًا في التراث اللغوي العربي القديم، ويتمثل ذلك بتطرق عبد القاهر الجرجاني إلى هذه السياقات وكشف دورها في توجيه المعنى، دون أن يحدد أو يضع حدودًا وينظمها بقالب نظري، وإنما من خلال صياغته لنظريته الشهيرة: النظم، والتي تتعلق بجانبين أو زاويتين: الجانب النحوي بكل ما يندرج تحته من ظواهر لغوية، والجانب الأسلوبي المتمثل بالبلاغة العربية، وما يندرج تحتها من ظواهر أسلوبية كالمجاز والاستعارة والكناية.

المبحث الأول:

السياق اللغوي عند الجرجاني

يرتبط معنى الكلمة عند أصحاب النظرية السياقية بجوانب منها: "استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤديه"[26]. وحين ندرس الجرجاني فإننا نرى ذلك بوضوح في الدرس اللغوي والبلاغي عنده؛ إن الجرجاني في (دلائل الإعجاز) بث نظريته المعروفة بالنظم، ليدلل على إعجاز اللغة في التعبير عن المعنى من زاويتين: لغوية/ نحوية، وأسلوبية/ بلاغية. وإذا كان الجرجاني نحويًّا بلاغيًّا، فهو يمثل، إلى جانب غيره من النحاة واللغويين، الهوية الثقافية المعرفية للغة العربية؛ ومن هنا فهو يتفق مع سوسير في أن كليهما يعبران عن ظواهر وأفكار للغتين مختلفتين، تجمع بينهما أصول واحدة، ولعل سوسير في قوله بوجود سمات مشتركة تجمع بين كل اللغات يتفق مع غير لغوي عربي في ذلك، إن الأنظار واحدة، حتى وإن اختلفت الزاوية التي ينظر بها كل واحد إلى الظاهرة.

ولا ينبغي لنا القول: إن الجرجاني يدرس اللغة نحويًّا في دلائل الإعجاز، فنستعيد بذلك آراءه الدلالية، في حين نأخذ بالأنظار الدلالية الغربية التي أصلت تأصيلًا للدلالة، إنما نحاول أن نقارب بينها، لنصل إلى أوجه الاتفاق المشتركة ليس بين فيرث والجرجاني، إنما بين اللغتين نفسيهما.

وإن الجرجاني يشير في غير موضع إلى أساس مهم تحدث عنه السياقيون في أن الكلمة ليس لها معنى بمفردها إلا من خلال وجودها في سياق يُكسبها المعنى؛ "فالألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائدُ"[27]. ولقد تطرق الجرجاني إلى السياق اللغوي من زوايا عدة، منها: أصل اللفظ إن كان استخدامه على وجه الحقيقة أو المجاز، ويتحدد المعنى بناء على ذلك، ويسوق

[25] ينظر في: عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1. عالم الكتب. القاهرة، ص71و72

[26] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب.القاهرة ، ص68

[27] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص539

الكثير من الأمثلة في ثنايا الكتاب، ومن ذلك قوله: "إنَّ العادةَ قد جرتْ بأنْ يُقال في الفرق بين الحقيقة والمجاز: إنّ "الحقيقةَ" أَنْ يُقَرَّ اللفظُ على أصْلِهِ في اللغة، و"المجاز"، أنْ يُزالَ عن موضعِه، ويُسْتعملَ في غيرِ ما وُضِع له، فيقالُ: "أسدٌ" ويرادَ شُجاع، و"بحر" ويراد جواد"[28]. ويعني بذلك أننا إذا استخدمنا اللفظ على ما وضع له كان استخدامًا حقيقيًّا، وتحمل اللفظة تبعًا لذلك معناها المعجمي الأصيل، أما إذا استخدمت لغير ما وضعت له فقد خرجت عن ذلك، ولزمت معنى جديدًا مجازيًّا، والذي يحدده هو السياق اللغوي. "فيكون اللفظُ مُزالًا بالحقيقةِ عن موضِعِهِ، ومنقولًا عما وُضِعَ له"[29].

ويتحدث الجرجاني نحويًّا في باب فصاحة الألفاظ عند المعنى التي تؤديه اللفظة من بين عدة ألفاظ، ويطرح تصور أنها الأكثر مناسبة للفصاحة؛ لأنها تقدم معنى يختلف عما تقدمه كلمة أخرى من معنى، فيقول الجرجاني في تعليقه على الآية: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ)**[30]: "إن شكَكْتَ، فتأملْ: هل ترى لفظة منها بحيثُ لو أُخِذَتْ من بين أَخواتها وأُفردتْ، لأَدَّت منَ الفصاحة ما تُؤدّيه وهي في مكانها منَ الآية؟ قُل: "ابلَعي"، واعتبرْها وحْدَها من غيرِ أن تَنْظُرَ إلى ما قَبْلَها وما بعدَها، وكذلك فاعتبرْ سائرَ ما يليها"[31]. فاللفظة عنده لا تكتسب معناها من ذاتها إنما فيما تلحق إليه، "فالألفاظ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ"[32]. فاللفظة الواحدة هي جزء من إطار منظوم من الألفاظ.

وإن الجرجاني يميّز بين الألفاظ تبعًا للسياق الذي ترد فيه، فحتى الكلمة الواحدة ذات المعنى الثابت إذا استخدمت في غير سياقها، قد لا تكون مناسبةً له، أو إنها قد تكون أكثر مناسبة للسياق من غيرها من الألفاظ، ويستشهد بذلك ببيت شعر لأبي تمام، فليس الحديث هنا عن معنى الكلمة في السياق، إنما إلى جمال معناها وحسن استخدامها، ولا سيما أن "الموضوع الأول لعلم الدلالة هو الكلمة"[33]. يقول: "ومن سرِّ هذا البابِ، أنك تَرى اللفظَة المستعارةَ قد استُعيرتْ في عدَّةِ مواضعَ، ثم تَرى لها في بعضِ ذلك مَلاحةً لا تَجِدُها في الباقي. مثالُ ذلك أنك تَنْظر إلى لفظةِ "الجِسر" في قولِ أبي تمام:

لا يَطْمعُ المرءُ أن يجْتابَ لُجَّتَهُ
بالقولِ ما لمْ يَكُنْ جِسْرًا له العَمَلُ

وقوله:

بَصُرْتَ بالرَّاحةِ العُظمى فلَمْ تَرَها
تُنَال إلاّ عَلَى جسرٍ منَ التعَبِ

فتَرى لها في الثاني حُسْنًا لا تَراه في الأَول، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقيّ:

قُولي نَعمْ ونَعمْ إنْ قُلتِ واجبةٌ
قالتْ عَسى وعسى جِسْرٌ إلى نَعَمِ

[28] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص366
[29] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص367
[30] هود: 44.
[31] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص45
[32] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص46
[33] جيرمان، كود، ولوبلون، ريمون. علم الدلالة. (1997). ترجمة: نور الهدى لوشن. ط1. منشورات جامعة قاريونس، بنغازي. ص24.

فتَرى لها لُطْفًا وخَلابةً وحُسْنًا ليس الفَضْلُ فيه بقليل"[34].

إن الجرجاني يؤكد "أن الألفاظ تبعٌ للمعاني"[35]، ويلح على أن معاني الألفاظ لا تتغير بتغير النظم، أي: السياق، أي: لو أننا جئنا بثلاث كلمات:

الكتاب – في – الحقيبة

كلمة (الكتاب) دالة على الكتاب، و(في) دالة على الظرفية، و(الحقيبة) دالة على الشيء الذي يوضع فيه الكتب، وإن هذه الكلمات لا تتغير بتغير النظم، والنظم كما يعنيه هو توخي معاني النحو، أي: الوظائف النحوية، فمثلا لو قلنا:

الكتاب في الحقيبة.

في الحقيبة الكتاب.

الحقيبة في الكتاب (من باب أمن اللبس، كقولنا: خرقَ الثوبَ المسمارُ)

في الكتاب الحقيبة (من باب أمن اللبس، كسابقتها).

إن المعنى لكل مفردة بقي كما هو ولم يتغير؛ لأن التغيير حدث هنا في النظم فقط، لكن حين يدل السياق على معنى مغاير للمعنى الذي وضعت له الألفاظ، أي: نقلها من المعنى الحقيقي الأولي، لمعنى آخر، والسياق هو من يحدد ذلك، ويغير معاني الألفاظ، ويعبر عن ذلك الجرجاني بقوله: "وجملةُ الأمر أنَّ صُوَرَ المعاني لا تتغيَّر بِنَقْلها من لفظٍ إلى لفظٍ، حتى يكونَ هناك اتساعٌ ومجازٌ، وحتى لا يُرادَ منَ الألفاظِ ظواهرُ ما وُضِعَتْ له في اللغة، ولكنْ يُشارُ بمعانيها إلى معانٍ أُخَرَ"[36]. وإن التغيير في المعنى عند الجرجاني مرتبط بالحقيقة المتأتيّة من السياق، فالسياق هو من يفرض إعادة تعيين معنى الكلمة بناءً على التغيير في النظم.

إن السياق اللغوي يجعل الجرجاني يحلل أبعاد المعنى، ليصل إلى المعنى الدقيق للفظة، بناء على السياق اللغوي الذي ينظر إليه على أنه نظم، بينما هو عند السياقيين سياق لغوي نصي (TEXT)، وبذلك يلتقي مع وجهات نظرهم في كون اللفظة تكتسب معناها الدقيق من السياق اللغوي الذي ترد فيه، لا من معناها المعجمي الأصيل الذي وضعت له. ويمكن لنا التمثيل على ذلك عند الجرجاني في اعتباره معنى كلمة (حياة)، التي جاءت نكرة ما يزاد على الحياة من زمن، وليس معنى لفظة الحياة: الحياة المعيشة فقط، أي: الحياة ذاتها، فيقول: "وقولُه تعالى: **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)**[37]، إذا أنتَ راجعتَ نفسَك وأذكيتَ حسَّك، وجدتَ لهذا التنكيرِ، وإنْ قِيلَ "على حياةٍ"، ولم يُقَلْ: "على الحياةِ"، حُسْنًا وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يقادره قدرُه، وتَجِدُكَ تَعْدَمُ ذلكَ مع التعريفِ، وتخرجُ عن الأريحيةِ والأُنْس إلى خلافِهما. والسببُ في ذلك أنَّ المعنى على الازدِياد منَ الحياةِ لا الحياة من أصلها، وذلك أنه لا يَحْرِصُ عليه إلاّ الحيُّ، فأمَّا العادِمُ للحياة فلا يصحُّ منه الحرْصُ على

[34] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص78–79

[35] الكراعين، أحمد نعيم. علم الدلالة بين النظر والتطبيق. (1993). ط1. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص84

[36] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص265

[37] البقرة: 96.

الحياةِ ولا على غيرها. وإذا كانَ كذلكَ صارَ كأنه قيلَ: "ولتجدنَّهُمْ أحْرَصَ الناسِ، ولو عاشوا ما عاشوا، على أن يزدادوا إلى حياتِهم في ماضي الوقت وراهِنِه، حياةً في الذي يَستقْبِل. فكما أنك لا تقول ههنا: أن يزدادوا إلى حياتِهم الحياةَ بالتعريفِ، وإنما تقولُ: "حياةً" إذْ كانَ التعريفُ يَصْلحُ حيثُ تُراد الحياةُ على الإطلاق، كقولنا: "كلُّ أحدٍ يُحب الحياةَ، ويَكرهُ الموتَ"، كذلك الحكْمُ في الآية"[38]. إن الجرجاني ينطلق من سياق النص لتفسير معنى المفردة، وهي عنده محتكمة إلى سياق اللغة، وبه يكون النظر إليها، لا من معناها الصّرف، وهو يتفق بذلك مع السياقيين الذين يذهبون هذا المذهب.

وكذلك ينظر الجرجاني إلى معنى اللفظة من زاوية بلاغية، ويحدد أن الاستعارة والكناية والمجاز تُخرج اللفظة من معناها الحقيقي التي وضعت له، إلى معنى آخر مجازي، والسياق هو الذي يحتّم عليه اعتبار ذلك، أما البلاغة أو الأسلوب البلاغي فما هي إلا نتاج لغوي للسياق، فلا استعارة دون سياق، ولا مجاز ولا كناية، فهذه الأصناف البلاغية هي مجرد أساليب لغوية تنشأ من السياق، ولا تنشأ دونه، فالجرجاني يحتكم للسياق أولا، وإن كانت توجهاته بلاغيةً. يقول الجرجاني مثلًا في تفسير اللفظتين: (خمس – سحائب)، في قول البحتري:

وصاعقةٍ من نَصْلِه يَنْكفي بها
عَلى أَرْؤُسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ

عنَى بخمسِ السحائبِ: أناملَه، ولكنه لم يأتِ بهذه الاستعارة دفعةً، ولم يَرْمها إليك بغْتةً، بل ذكر ما يُنْبئ عنها، ويُسْتَدلُّ به عليها، فذكَر أن هناكَ صاعقةً، وقال: "مِنْ نصلِه"، فبيَّن أنَّ تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال: "أرؤس الأقرانِ"، ثم قال: "خمسُ"، فذكر" الخمسَ" التي هي عدَدُ أناملِ اليدِ، فبانَ مِن مجموعِ هذه الأمور غرضه"[39]. فالجرجاني ينطلق هنا من السياق لتحديد معنى كلمتي خمس سحائب، ويوضح أن السياق المتمثل بالصاعقة والنصل وأرؤس الأقران هي التي تجعلنا نعتبر خمس السحائب يده؛ فأصل الخمس دال على العدد، والسحائب جمع سحابة وواضح معناها، ومعنى التركيب؛ ولذا فقد خرجت هاتان اللفظتان من المعنى الأصلي الموضوع لهما، إلى معنى آخر، والسياق هو الذي أنتج هذه الدلالة الجديدة للألفاظ.

وكذلك تفسيره لكلمة قلب في قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لذكرى لِمَن كَانَ لَهُ قلبٌ)**[40]، أن المقصود بهذه اللفظة ليس القلب العضو في الجسد فقط، بل القلب المتدبر المتفكر، (ربما يعني القلب: العاقل). يقول الجرجاني: "ومعنى "القلب" في قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ)**، أي: لِمَنْ أعْمَلَ قلْبَه فيما خُلِق القلبُ لهُ مِنَ التدبُّر والتفكُّر والنظرِ فيما ينبغي أن يُنْظَرَ فيه. فهذا على أن يُجْعلَ الذي لا يَعِي ولا يسَمعُ ولا يَنْظرُ ولا يتفكَّرُ، كأنه قد عَدِمَ القلبَ من حيثُ عَدِمَ الانتفاعَ به"[41]، فالجرجاني لم يفسر اللفظة هنا بمعناها وحسب، وإنما توسع في تأويل معناها اعتمادا على السياق القرآني، وفهم خصوصيته، يقول: "وذاك أنَّ المرادَ به الحثُّ على النظرِ، والتقريعُ على تَرْكه، وذمُّ مَنْ يُخِلُّ به وَيغْفِل عنه. ولا يَحْصُل ذلك

[38] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص288–289
[39] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص299
[40] ق: 27.
[41] الجرجاني، دلائل الإعجاز. (1984)، ص304

إلا بالطريقِ الذي قدَّمْتُه (أي: بتأويله لمعنى كلمة القلب)، وإلاَّ بأنْ يكونَ قد جُعِل من لا يَفْقَه بقلبهِ، ولا يَنْظُر ولا يَتفكَّر، كأنه ليس بذي قلبٍ، كما يُجْعَل كأنه جمادٌ، وكأنه ميْتٌ لا يَشْعر ولا يُحِسّ"[42]، فالجرجاني لا يتحدث عن السياق اللغوي لبيان معنى الكلمة داخل السياق وحسب، إنما يظهر عبقرية اللغوي العربي التي تتواشج مع الأنظار الدلالية السياقية الحديثة!

وكذلك ينظر الجرجاني إلى السياق ويفهمه، ويبين خصوصيته، ويستعملها لبيان معنى اللفظ من بين عدة معانٍ للكلمة؛ إذ يختار معنى الذكر بالاسم للكلمة "ادعوا"، ويستبعد المعنى المعجمي الآخر، وهو الدعاء، اعتمادًا على السياق اللغوي للنص، فيقول: "مثالُ ذلك أنَّ مَنْ نظَر إلى قوله تعالى: **(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)**[43] ، ثم لم يَعْلمْ أنْ ليسَ المعنى في "ادعوا" الدعاءَ، ولكنِ الذكْرَ بالاسمِ، كقولك: "هو يدعى زيدًا "و "يدعى الأميرَ"، وأنَّ في الكلام محذوفاً، وأنَّ التقديرَ: قُل ادعوهُ اللهَ، أو ادعوهُ الرحمنَ، أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى كان بغرض أنْ يقعَ في الشركِ، من حيثُ إنه إنْ جرى في خاطره أنَّ الكلامَ على ظاهره، خرج ذلك به، والعياذ باللهِ تعالى، إلى إثبات مَدْعُوَّيْن، تعالى اللهُ عن أنْ يكونَ له شريكٌ. وذلك مِن حيثُ كان مُحالًا أن تَعْمِدَ إلى اسمَيْن كلاهما اسمُ شيءٍ واحدٍ، فتعطِفَ أحدَهما على الآخَر، فتقولَ مثلاً: "أُدْعُ لي زيدًا أو الأمير"، و"الأمير "هو زيد. وكذلك محال أن تقول: "أيامّا ندعوا" وليس هناك إلاَّ مَدْعوٌّ واحدٌ، لأن مِنْ شأن "أي" أنْ تكونَ أبدًا واحدًا من اثنين أو جماعةٍ، ومِن ثَمَّ لم يكن له بدٌّ من الإضافةِ، إما لفظًا وإما تقديرًا"[44]. وملحوظ من حديث الجرجاني كيف أنه اعتمد اعتمادا رئيسًا على السياق اللغوي، وأنه أيضًا اتبع السياق الثقافي المتمثل بالدين لبيان معنى الكلمة. ولا سيما أن "المعنى الذي تدونه المعاجم ليس هو كل شيء، في إدراك معنى الكلام"[45].

وكذلك ينظر الجرجاني إلى السياق ويفهمه ويبين خصوصيته لبيان معنى الكلمة من بين عدة معانٍ لها؛ إذ يختار معنى الإثبات واعتقاد الصفة للكلمة "جعلوا"، ويستبعد المعنى المعجمي الآخر، وهو التسمية، اعتمادًا على السياق اللغوي للنص القرآني، فيقول: "قولَهم: إنَّ "جعَل" يكون بمعنى "سمَّى" في قوله تعالى: **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**[46]، فقد تَرى في التفسيرِ أنَّ "جعلَ" يكون بمعنى "سمَّى"، وعلى ذاك فلا شبْهةَ في أنْ ليس المعنى على مجرَّدِ التسمية، ولكنْ على الحقيقة التي وصفْتُها لكَ. وذاكَ أنَّهم اثْبَتوا للملائكةِ صفةَ الإناثِ واعتقدوا وُجودَها فيهم، وعن هذا الاعتقادِ صدرَ عنهم ما صدَر من الاسْم أعني إطلاقَ اسْمِ "البنات"، وليس المعنى أنهم وضعوا لها لفظَ "الإناثِ" ولفظَ "البناتِ"، من غير اعتقادِ معنى وإثباتِ صفةٍ. هذا محالٌ"[47]. فتأويل الجرجاني لمعنى اللفظة ما هو إلا استنباط من سياق الوحدة اللغوية، شأنه في ذلك شأن الدلاليين

[42] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص304

[43] الاسراء: 110.

[44] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص375

[45] الحازمي، عليان. **علم الدلالة عند العرب**. (2003). مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٥ ، ع ٢٧، الصفحات (705-721). ص709.

[46] الزخرف: 19.

[47] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص438-439

المحدثين الذين سعوا أيضاً، إلى مثل هذا الاستنباط من السياق اللغوي، واعتبارها جزءًا من كل، ولا سبيل إلى اكتساب معناها إلا من السياق الذي جاءت فيه.

المبحث الثاني

سياق الموقف عند الجرجاني والأنظار الدلالية

نلحظ في(دلائل الإعجاز) اعتماد الجرجاني في بيان معنى الألفاظ على الموقف، أو ما يسميه السياقيون بسياق الموقف، وكما أسلفنا في حديثنا عن تقسيم السياق عند (K. Ammer)، قاصدين به "الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة"[48]، على اعتبار أن سياق الموقف المنتج للغة سياق اجتماعي، يعتمد على المقام/ الموقف اللغوي، فهو بذلك يعطي معنى محددًا ويحصره للفظة المستخدمة في مواقف أخرى. وفي ضوء هذا نستشرف ملامح سياق الموقف ودوره في تحديد معنى اللفظة عند الجرجاني في غير موضع، دون أن يقصد بذلك بيان اللفظة دلاليًّا، إنما– كما أسلفنا– من منظور ومقصد بلاغي ونحويّ.

إن "الجملة الواحدة تتعدد معانيها حسب الموقف الذي تقال فيه"[49]. وقد تحدث الجرجاني عند سياق الموقف ودوره في تسييق الوحدة اللغوية، وإبراز معناها؛ فقد تحدث في غير موضع في الكتاب عن الاستعارة أنها نقل من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، وضرب كثيرًا من الأمثلة، منها: (فلان أسد) على سبيل الاستعارة، ويوضح في مقامٍ آخر أن الحديث إن لم يكن مرتبطًا بدلالات معنوية وموقف (كالمدح مثلا) فإن الألفاظ تعبر عن أصلها اللغوي فقط، فالموقف هو الذي يحدد معناها، أي: سياق الموقف. فيقول: "وكذلك إذا جَعَلُوا المعنى يُتَصَوَّرُ من أجلِ اللفظِ بصورةٍ، ويبدو في هيئةٍ، ويتشكَّل بشكلٍ يُرجِع المعنى في ذلكَ كلِّه إلى الدلالاتِ المعنوية، ولا يصلُح شيءٌ منه حيثُ الكلامُ على ظاهرِه، وحيثُ لا يكون كناية ولا تمثل ولا استعارة، ولا استعانةٌ في الجملةِ بمعنًى على معنًى، وتكونُ الدلالةُ على الغَرض مِنْ مجرَّد اللفظِ، فلو أَنَّ قائلًا قال: "رأيتُ الأَسَدَ"، وقال آخرُ: "لَقِيتُ الليثَ"، لم يَجُزْ أن يقال في الثاني أنه صور المعنى فيغير صورتِهِ الأُولى، ولا أنْ يُقال: أبرزَهُ في معرضٍ سِوى معرضِه، ولا شيئًا من هذا الجنسِ"[50]. فالجرجاني يتحدث في هذا الموضع عن سياق الموقف، ودوره في معنى اللفظة المستخدمة، والظاهر من حديثه أنه قصد بكلمتي "الأسد والليث" الشجاعة، لكنه ينزاح عن ذلك، ليؤكد خلاف ذلك، في أن الأسد والليث هنا لا تعنيان أكثر من معناهما المعجمي اللذين وضعتا عليه، ويفسر السبب في ذلك بقوله: "مَعْرِضٍ سوى مَعْرِضه"، أي: إن المعرض هو المُقام والموقف الذي من خلاله يحكم على معاني الألفاظ، وما المعرض في قوله إلا سياق الحال، الذي يحيل إلى "جملة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي"[51].

وفي موضع آخر يفسر الجرجاني المعنى الدقيق لكلمة "إنّ" اعتمادا على سياق الموقف، الذي قيلت فيه اللفظة، ويراعي أشدّ المراعاة سياق الموقف، ويعتمد عليه أيما اعتماد للوصول إلى المعنى، و""إنّ" تدخل

[48] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1.عالم الكتب. القاهرة، ص71

[49] الخولي، محمد علي. **علم الدلالة (علم المعنى).** (2001). ط1. دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ص17

[50] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص265

[51] حيدر، فريد عوض. فصول في علم الدلالة. (2011). ط 3. مكتبة الآداب، القاهرة، ص119

للدلالة على أن ظنك الذي ظننت مردود: واعْلَمْ أنها قد تَدْخلُ للدلالة على أنَّ الظنَّ قد كان منكَ أيُّها المتكلِّمُ في الذي كان أنَّه لا يكونُ. وذلك قولُكَ لِلشيءِ هو بمرأى من المُخاطَبِ ومَسْمع: "إنه كان من الأمْر ما تَرى، وكان منِّي إلى فلانٍ إحسانٌ ومعروفٌ، ثم إنه جَعل جَزائي ما رأيْت"، فتجعلُكَ كأنك تَردُّ على نفْسِك ظَنَّكَ الذي ظنَنْتَ، وتُبيّنُ الخطأ الذي توهَّمْتَ. وعلى ذلك –واللهُ أعلمُ– قولُه تعالى حكايةً عن أمّ مريم: **(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى واللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)**[52]، وكذلك قولُه عزَّ وجَلَّ حكايةً عن نوحٍ عليه السلام:(**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون)**[53]، وليس الذي يَعْرِضُ بسببِ هذا الحرفِ من الدقائق والأُمور الخفيَّةِ، بالشيء يُدْرَك بالهُوَينا. ونحن نَقْتصِر الآن على ما ذكَرْنا، ونأخذُ في القولِ عليها إذا اتصلتْ بها "ما""[54]. فمن خلال حديث الجرجاني، وحديثه المُفهم عن معنى الأداة، نتبين أنه كان ينظر للمعنى من وجهة نظر سياق الموقف، فالجرجاني هنا يدخل لسياق حال المتكلم ليعلم أن ما قصده غير الذي يفهمه المتلقي، وهذا يدل على فهمه العميق لسياق الموقف، وتفكير المتحدث فيما يقول.

ثم يلح الجرجاني على فكرة فهم سياق الموقف الذي قيلت فيه الألفاظ كي يحدد معناها، فالمعنى بالنسبة للجرجاني كما يتأتى من السياق اللغوي، يتأتى أيضًا من سياق الموقف، ويطيل الجرجاني في بيان هذه الفكرة محللا صدر بيتٍ لمرئ القيس، وهو مطلع المعلقة، ويشير إلى أن أفهامنا يجب أن تتوخى ما عناه وقصد الشاعر إليه، ويخلص الجرجاني ضمنيًّا إلى معرفة سياق الموقف الذي قال فيه امرؤ القيس شعره، إلى جانب تفريقه المطلق والحاد بين الراوي كونه ناقلًا للكلام، وبين القائل الحقيقي الذي صدر عنه الكلام، وكأنه يشير إلى أن الفهم يكون من خلال معرفة الموقف وسياقه لدى القائل؛ لأن الراوي أو الناقل مجرد ناقل، قد لا يتوخى المعنى الذي قصده القائل، يقول الجرجاني: "فإن قلتَ: إنَّ الراويَ وإنْ كان قد نطقَ بألفاظِ الشعرِ على الهيئةِ والصورةِ التي نطقَ بها الشاعرُ، فإنَّه هو لم يبتدئْ فيها النَّسَقَ والترتيبَ، وإنما ذلك شيءٌ ابتدأَهُ الشاعرُ، فلذلك جعلْتَه القائلَ له دونَ الراوي.

قيل لكَ: خَبِّرْنا عنك، أَترى أنه يتصوَّر أن يجبُ لألفاظ الكلم التي تراها في قولِهِ:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنْزِل

هذا الترتيبُ، من غيرِ أنْ يتوخَّى في معانيها ما تَعْلم أنَّ امرأَ القيس توخَّاه مِنْ كونِ "نَبْكِ" جوابًا للأمرِ، وكونِ "مِنْ" مُعدِّيةً له إلى "ذكرى"، وكونِ "ذكرى" مضافةً إلى "حبيبٍ"، وكونِ "منزلِ" معطوفًا على "حبيبٍ"، أم ذلك محالٌ؟ فإن شكَكْتَ في استحالتِه لم تُكلَّم.

وإن قلتَ: نعَمْ، هو محال.

قيل لك: فإذا كان مُحالًا أن يَجِبَ في الألفاظ ترتِيبٌ مِنْ غيرِ أنْ يتوخَّى في معانيها معانيَ النحو، كان قولُكَ: "إنّ الشاعرَ ابتدأ فيها ترتيبًا"، قولًا بما لا يتحصل. وجملةُ الأمرِ أنَّه لا يكونُ ترتيبٌ في

[52] آل عمران: 36.
[53] الشعراء: 117.
[54] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص327

شيءٍ حتَّى يكونَ هناكَ قصْدٌ إلى صورةٍ وصنْعةٍ إنْ لم يُقدَّم فيه ما قُدِّم، ولم يُؤخَّر ما أُخِّر، وبُدئَ بالذي ثُنيَ به، أو ثنِّي بالذي ثُلِّث به، لم تحْصلْ لكَ تلكَ الصورةُ وتلك الصفة، وإذا كان كذلك، فينبغي أن تنظر إلى الذي يَقْصِدُ واضعُ الكلامِ أنْ يحصُلَ له من الصورةِ والصَّنعةِ"[55].

وإن الجرجاني يلحّ على استبعاد حكاية القول، أي: نقلها وقولها على حكايتها في التخاطب، ويرى أن يفهم المتلقي المعنى الذي يقدّمه الخِطاب، فيقول: "واعلمْ أنه لا معنى لأن يقالَ: إنَّ القولَ حكايةٌ، وإنَّه إذا كان حكايةً لم يلزَمْ منه إثباتُ الآلهةِ، لأنه يَجْري مَجْرى أنْ تقولَ: "إنَّ مِنْ دين الكفَّارِ أنْ يقولوا: الآلهةُ ثلاثةٌ"؛ وذلك لأنَّ الخطابَ في الآية للنصارى أنفسهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُم)**[56] وإذا كان الخطابُ للنصارى، كان تقديرُ الحكايةِ مُحالاً، فـ "لا تَقولوا" إذنْ في معنى: "لا تعْتَقِدوا"، وإذا كانَ في معنى الاعتقادِ، لَزِمَ إذا قدَّرَ "ولا تقولوا آلهتُنا ثلاثةٌ ما قُلْنا إنَّه يَلْزمُ مِن إثباتِ الآلهةِ؛ وذلك لأن الاعتقادَ يَتعلَّق بالخبر لا بالمُخْبَرِ عَنْه. فإذا قلتَ: "لا تعتقدْ أنَّ الأمراءَ ثلاثةٌ"، كنتَ نهَيْتَه عن أنْ يعتقدَ كونَ الأُمراءِ على هذه العِدَّة، لا عنْ أَنْ يَعْتَقِدَ أنَّ ههنا أُمراءَ. وهذا ما لا يَشُكُّ فيه عاقلٌ، وإنَّما يكونُ النهْيُ عن ذلك إذا قلتَ: "لا تَعْتقِدْ أَنَّ هاهنا أُمراءَ"؛ لأنَّك حينئذٍ تَصيرُ كأنَّك قلَتَ: لا تعتقِدْ وجودَ أمراءَ"[57].

المبحث الثالث

السياق الثقافي

إن السياق الثقافي "يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة "عقيلة" تعدّ في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة "زوجة""[58]. ونجد لهذا السياق أيضاً حضورًا عند الجرجاني؛ إذ يعتمد على السياق الثقافي بشكل أقل مما اعتمد فيه على السياق اللغوي، لبيان المعنى للفظة، فالجرجاني يوظف الثقافة الجمعية العربية التي أنتجت الكناية والاستعارة توظيفًا يسمح لنا بالقول: إنه اتبع السياق الثقافي للألفاظ؛ كي يبين أنها تخرج عن المعنى الأصلي الصرف الذي وضعت له، لتأخذ معنى جديدًا غير المعنى المعروف لها، وحديث الجرجاني يجعلنا نقول: إن كلمة عقيلة، والتي تطلق على زوجة الملك، قد أخذت بعدًا اجتماعيًّا، وهي بذلك تقارب وتماثل ما خرجت إليه الكناية عند العرب بقولهم: رفيع العماد، فرفيع العِماد اكتسبت بعدًا ثقافيًّا يتعلق بالثقافة الجمعية العربية، فهي أفضت إلى جعل هذه اللفظة دالةً على الكرم.

وقد وجدنا أن السياق الثقافي ماثلًا أشد مثول عند الجرجاني، فهو يوظف الثقافة كسياق للوصول إلى المعنى المراد، متجاوزا "المعنى المعروف" الذي تفرضه اللغة المعجمية، إلى "المعنى المُتعارَف" الذي تفرضه الثقافة، أو السياق الثقافي، وهو بذلك يؤكد على "الترابط الذهني القائم على العرف بين الدال

[55] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص363-364

[56] النساء: 171.

[57] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص383-384

[58] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1. عالم الكتب. القاهرة ، ص71

والمدلول"[59]. يقول: "والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردِْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلًا عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"، يريدونَ طويلَ القامة، و"كثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِرى، وفي المرأة "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصّ به، ولكنّهُم تَوصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ يكونَ إذا كانَ"[60]. ويبدو أن الجرجاني قصد بكلمة الوجود السياق الثقافي، أو ما يتواضع عليه الناس معرفيًّا وثقافيًّا.

وفي حديثه عن الاستعارة كأنما يقول: إن معنى كلمة (أسد) تستخدم بمعنى كلمة شجاع، والسبب كما نرى واضح من أن الكلمة قد أصبحت تأخذ معنى يفرضه السياق الاجتماعي الثقافي، يقول: "فالاستعارة: أن تُريدَ تشبيهَ الشيءِ بالشيءِ، فَتَدَعَ أنْ تُفْصحَ بالتشبيهِ وتُظْهِرَه، وتجيءَ إلى اسمِ المشبَّه بهِ، فتعُيرَه المشبَّه وتُجْرِيَه عليه. تُريدُ أن تَقول: رأيتُ رجلًا هو كالأسدِ في شجاعتهِ وقوةِ بطشِه سَواء"، فتَدَعُ ذلك، وتقولُ: رأيت أسدا"[61]. وكأنه يقول بوضوح: اترك كلمة شجاع، واستخدم كلمة أسد!

وكذلك كلمة تؤخر وكلمة رجلاً، وكلمة تقدم، لقد خرجت تمامًا من معناها المعجمي إلى معنى آخر، بسبب وجودها في سياق ثقافي جعل العرب يقصدونها ويستخدمونها، يقول الجرجاني: "وأمَّا "التّمثيلُ" الذي يكونُ مجازًا لمجيئك بهِ على حَدِّ الاستعارة، فمِثالُه قولُك للرَّجل يَتردَّدُ في الشّيءِ بين فعله وتركه: "أراك تقدم رجلًا وتؤخر أُخرى"، فالأصْل في هذا: أَراكَ في تَردُّدِك كَمَنْ يُقَدِّمُ رجْلًا ويؤخِّر أُخرى، ثم اخْتُصِرَ الكلامُ، وجُعِل كأنه يُقدِّم الرِّجْلَ ويُؤخِّرها على الحقيقة، كما كان الأصْلُ في قولك: "رأيتُ أَسَدًا" رأَيتُ رجلًا كالأسد، ثم جُعِل كأنه الأَسَدُ على الحقيقة"[62].

ثم يتبع التفصيل في ذلك، في موضع آخر، مشددًا على وجود سياق خفي جعل اللفظة تأخذ معنى آخر، يقول: "الكلامُ على ضَرْبين: ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلًا بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ: "خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاقِ عن "عمرو" فقلتَ: "عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانية تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"، أوَ لا تَرى أنكَ إذا قلْتَ: هو كثيرُ رمادِ القِدْر، أو قلتَ: طويلُ النجادِ، أو قلتَ في المرأةِ: نَؤُومُ الضحى، فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن تدل باللفظ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانيًا هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثيرِ رمادِ

[59] الداية، فايز. **علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية**. (1996). ط2. دار الفكر المعاصر، لبنان. ص18

[60] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص66

[61] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص67

[62] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص68-69

القدرِ" أنه مضيافٌ، ومن "طويلِ النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مُتْرَفَةٌ مخدومةٌ، لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها"[63]. وقصد الجرجاني بقوله: (معرفتك) هو المعرفة الثقافية التي تفرضها الثقافة الجمعية، ويفرضها السياق الثقافي نفسه. ليس هذا وحسب، بل إنه يسمي ذلك المعنى المتأتي من السياق الثقافي بـ "معنى المعنى"، يقول: "وإذ قد عرفت هذه الجملة، فهاهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: "المعنى"، و"معنى المعنى"، وتعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظ، والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ، كالذي فسَّرْتُ لك"[64].

المبحث الرابع
السياق العاطفي

إن "الكلمة المفردة لا تنجز مهمتها الدلالية على الوجه الأكمل إلا ضمن السياق الذي ترد فيه"[65]، والسياق الانفعالي أو العاطفي، فكما أسلفنا، "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو اعتدالاً"[66]؛ فالسياق المتعلق بالعاطفة يحدد مدى تعبير الألفاظ عن حالة عاطفية قد تشترك مع غيرها في الدلالة على المشاعر والأحاسيس، لكنها تختلف عنها بحال مخصوصة، والذي يحدد المعنى الدقيق لها هو السياق. وبذلك يكون السياق العاطفي هو الذي يحدد بدقة المعنى للكلمة، ولا سيما "أن هذا المعنى لا تبرزه إلا الكلمة"[67]. ولقد تطرق الجرجاني إلى السياق العاطفي دون تنظير، فمثلا في سياق حديثه عن كلمة "تجمدا"، توغل في السياق العاطفي للكلمة في البيت الشعري، رابطا إياها بالسياق العاطفي الانفعالي للقائل، ومبينًا درجة القوة والضعف في الانفعال، يقول الشاعر:

"سأَطلبُ بُعْد الدارِ عنكُمْ لِتَقْربوا

وتَسْكُبُ عيناىَ الدموع لتجمُدَا

فدلَّ بسَكْبِ الدموعِ على ما يُوجِبه الفِرَاقُ منَ الحُزْن والكَمَد، فأحْسَنَ وأصابَ؛ لأنَّ مِن شأنِ البكاءِ أن يكونَ أمارةً للحُزنِ، وأنْ يُجْعَلَ دَلالةً عليه وكنايةً عنه، كقولِهم: أبكاني وأضْحكَني، على معنى "ساءني وسرَّني"، وكما قال الشاعر:

أبكانيَ الدهرُ، ويا رُبّما

أضْحَكني الدهْرُ بِما يُرْضي

ثم ساقَ هذا القياسَ إلى نقيضِه، فالتمسَ أن يَدُلَّ على ما يُوجبهُ دوامُ التَّلاقي من السرورِ بقولِه: لتجمدا، وظنَّ أنَّ الجمودَ يَبْلغُ له في إفادةِ المسرَّة والسلامةِ من الحزنِ، ونظرَ إلى أن الجمودَ خُلُوُّ العينِ من البَكاء وانتفاءُ الدموعِ عنها، وأنه إذا قالَ "لتجمدا"، فكأنَّه قال: أحزنُ اليومَ لئلاَّ أحزنَ غدًا، وتبكي عيناي جهدَهما لئلاَّ تبكيا أبدًا وغَلِطَ فيما ظنَّ، وذاك أنَّ الجمودَ هو ألا تبكي العين، ويستراب في ألا تَبْكي؛ ولذلكَ لا ترَى أحدًا يذكرُ عينَه بالجمودِ إلاَّ وهُوَ يشكوها ويذمُّها

---

[63] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص262

[64] المصدر السابق، ص263

[65] نهر، هادي. **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**. (2007). ط 1. دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد. ص263

[66] عمر، أحمد مختار. علم الدلالة (1985). ط1. عالم الكتب. القاهرة، ص70-71

[67] سليمان، فتح الله. مدخل إلى علم الدلالة. (1991). ط 1. مكتبة الآداب، القاهرة. ص8

وينسبها إلى البخل، ويعدُّ امتناعها من البكاءِ تَرْكاً لمعونةِ صاحِبها على ما بهِ من الهم"[68].

ويكمل قائلاً: "فإنَّ ذلكَ لا يَستقيمُ ولا يستتبُّ؛ لأنه يُوقِعُه في التناقضِ، ويَجْعَلُه كأنه قال: احتمل البكاءَ لهذا الفراقِ عاجلاً؛ لأصيرَ في الآجِل بدَوَام الوصْلِ واتِّصالِ السُّرورِ في صُورةِ مَنْ يُريد مِنْ عَينِه أنْ تَبكي ثم لا تَبْكي، لأنها خُلِقَتْ جامدةٌ لا ماءَ فيها"، وذلك مِن التهافُتِ والاضطرابِ بحيثُ لا تنجع الحيلة فيه. وجملةُ الأمرِ أنَّا لا نعلمُ أحدًا جعلَ جمود العين دليل سرور وأمارةَ غِبْطةٍ، وكنايةٍ عن أنَّ الحالَ حالُ فرحٍ"[69].

كما يذكر الجرجاني درجة التأثير الانفعالي، فيقول: "إذا قلتَ: هو كثيرُ رمادِ القدْر، كان له موقعٌ وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: هو كثيرُ القِرى والضيافة"[70]. وكأن كثير رماد القدر قد اكتسبت درجة من العاطفة بمثابة القوة، تؤدي معنى الكرم، تجعلها دالة على الكرم أكثر من التصريح بألفاظ الكرم نفسها كأن نقول: فلان كريم وكثير الضيوف.

وكذلك قول الجرجاني: "وكذا إذا قلتَ: هو طويلُ النِّجاد، كان له تأثيرٌ في النفس لا يكون إذا قلتَ: هو طويلُ القامة"[71]. أي: إن الألفاظ قد اكتسب درجة من العاطفة جعلتها أقوى كألفاظ من غيرها.

الخاتمة:

لقد أضاء البحث جوانبَ مهمة في نظرية السياق عند الجرجاني، كاشفًا عن جذورها في دلائل الإعجاز، ومبينًا التشابه في أوجه النظر اللغوية الدلالية بين (K. Ammer) من خلال تقسيمه للسياق أربعةَ أقسام، ونجد وعي الجرجاني بهذه الأقسام دون أن يؤطر لها ويقسمها، بل إنه كان يخرج إلى توجيه المعنى من خلال السياق في إطار نظرية النظم وتمثلاتها في التركيب النحوي، والتعبير الأسلوبي البلاغي.

نتائج البحث:

1- تعدّ نظرية النظم للجرجاني الركيزة الأولى لأفكار النظرية السياقية، وقد وظفها الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) بطرق علمية وإن لم يذكرها باسمها.

2- النظرية السياقية ليست وليدة العصر الحديث، أو من نتاج الفكر الغربي الحديث وحسب، إنما هي وليدة عقلية علمية عربية المنبت، لها تجليات كما رأينا عند الجرجاني.

3- تلاقي النظرية السياقية دلاليًّا ونظرية النظم عند الجرجاني نحويًّا وأسلوبيًّا، حيث وجدنا أن الجرجاني ينظر إلى اللفظة بوصفها وحدة ضمن وحدات أخرى منظومة داخل السياق، فالسياق، بناء على ذلك، مجموعة من الوحدات المنظومة التي تعدّ بمثابة الشيء الواحد المتماسك، والذي تتضافر فيه الدوال للتعبير عن المدلول، والسبيل إلى الوصول للمعنى هو إدراك معنى الكلمة من خلال علاقتها بالسياق في ضوء النظم.

[68] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص268-269

[69] الجرجاني، دلائل الإعجاز(1984)، ص270-271

[70] ينظر أيضا في: دلائل الإعجاز (1984)، ص442

[71] الجرجاني، دلائل الإعجاز (1984)، ص430

4- وجود السياقية عند الجرجاني في معنى الكلمة من منظور نحوي صِرف، ويتوسع الجرجاني في الحديث عن اختلاف المعنى التي تؤديه كلمة معينة في حال قمنا بتغيير إعرابها من خلال تغيير سياقها في الجملة.

5- إن فكرة تقسيم السياق الذي ترد فيه الكلمة إلى لغوي وعاطفي وثقافي وسياق الموقف أنتجه الفكر اللغوي الغربي الحديث متمثلا بـ (K. Ammer) نجد له نظائرَ في التراث اللغوي العربي القديم، ويتمثل ذلك بتطرق عبد القاهر الجرجاني إلى هذه السياقات وكشف دورها في توجيه المعنى، دون أن يحدد أو يضع حدودًا وينظمها بقالب نظري، وإنما من خلال صياغته لنظريته الشهيرة: النظم.

6- تلاقي التحليل السياقي للجرجاني مع السياق اللغوي في وجهات النظر الدلالية الحديثة؛ إذْ نجد الجرجاني يشير في غير موضع إلى أساس مهم تحدث عنه السياقيون في أن الكلمة ليس لها معنى بمفردها إلا من خلال وجودها في سياق يُكسبها المعنى. وقد تطرق الجرجاني إلى السياق اللغوي من زوايا عدة، منها أصل اللفظ إن كان استخدامه على وجه الحقيقة أو المجاز.

مقترحات البحث:

1- يوصي الباحثان بدراسة النظريات الدلالية في الفكر النحوي والبلاغي والمعجمي العربي وتأصيلها.

2- تتبع النظريات الدلالية في كتابي (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة) للجرجاني، وتلمس أبعادها في الكتابين.

قائمة المصادر والمراجع

[1] **القرآن الكريم**.

[2] إبراهيم، مجدي. **بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين**. (2014). ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

[3] بالمر، ف. ر. **علم الدلالة إطار جديد**. (1995). د ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

[4] بن خويا، إدريس. **علم الدلالة في التراث العربي والدرس اللساني الحديث: دراسة في فكر ابن قيم الجوزية**. (2016). ط1. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

[5] جاكندوف، راي. **علم الدلالة والعرفانية**. (2010). ترجمة: عبد الرزاق بنور. ط1. دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس.

[6] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت471). **دلائل الإعجاز**.(1984). تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. مكتبة الخانجي. القاهرة.

[7] جيرمان، كود، ولوبلون، ريمون. **علم الدلالة**. (1997). ترجمة: نور الهدى لوشن. ط1 . منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.

[8] الحازمي، عليان. **علم الدلالة عند العرب**. (2003). مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٥ ، ع ٢٧، الصفحات (705-721).

[9] حوحو، صالح. **جذور النظرية السياقية في تراثنا النحوي القديم**. (2023). مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، س 23، ع 1، الصفحات (470-487).

[10] حيدر، فريد عوض. **فصول في علم الدلالة**. (2011). ط 3. مكتبة الآداب، القاهرة.

[11] الخولي، محمد. **علم الدلالة علم المعنى**.(2001). ط 1 . دار الفلاح للنشر والتوزيع. عمان.

[12] الداية، فايز. **علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية**. (1996). ط2. دار الفكر المعاصر، لبنان.

[13] السكاكر، عبدالله. **السياق في دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ عرضاً ودراسة**. (2020). مجلة كلية اللغة العربية، أسيوط. مج39، ع1، الصفحات (265–322).

[14] سليمان، فتح الله. **مدخل إلى علم الدلالة**. (1991). ط 1. مكتبة الآداب، القاهرة.

[15] صالح، محمد سالم. **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**. (2007). مجلة البحوث والدراسات في الآداب والعلوم والتربية، جدة، ع7، الصفحات (4–37).

[16] أبو الطفيل، فيصل. **ملامح النظرية السياقية في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**. (2018). مجلة جذور، جدة، ع50، الصفحات (9–26).

[17] عبد الجليل، منقور. **علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي**.(2001). د ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق.

[18] عمر، أحمد مختار. **علم الدلالة**. (1985). ط1. عالم الكتب. القاهرة.

[19] أبو العدوس، يوسف مسلم. **النظرية السياقية للاستعارة وتمثلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني**. (1998). أعمال ندوة عبد القاهر الجرجاني، صفاقس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، الصفحات (89–130).

[20] الكراعين، أحمد نعيم. **علم الدلالة بين النظر والتطبيق**. (1993). ط1. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

[21] كريستال، ديفيد. **علم الدلالة**. (1996). ترجمة وتعليق: مازن الوعر. مجلة علامات. ج21، م6، الصفحات (259–292).

[22] لاينز، جون. **علم الدلالة**. (1980). ترجمة: مجيد الماشطة، حليم فالح، كاظم باقر. د ط. مطبعة جامعة البصرة، البصرة.

[23] نعمان، سلطاني. **تجليات النظرية السياقية من خلال نظرية النظم للجرجاني**. (2011). مجلة الباحث، الجزائر، ع8، الصفحات (41–58).

[24] نهر هادي. **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**. (2007). ط 1. دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد.